الأسلوبية صراع بين القدامة و الحداثة

(دراسة علاقة الأسلوبية بالبلاغة)

الدكتورة آفرين زارع و الأستاذة مرضية ميرزاييان

جامعة شيراز – إيران

الملخص

الأسلوبية فرع من اللسانيات ووليدة علم اللغة، تغذت من البلاغة القديمة، وعلى خلاف زعم بعض الباحثين الغربيين الذين يعدون الأسلوبية وليدة الغرب وأوروبا، يرى العرب جذورها في البلاغة القديمة وعلم اللغة والنقد الأدبي، ولكنها كانت في الانزواء خلال سنوات عديدة حتى تطورت بتطورعلم اللغة الحديثة، وانضمت هذه العلوم تحت لوائها وتوسع مداها، و لم تكتف بهذه العلوم بل تطرقت إلى علوم أخرى نحو علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما.

هذه المقالة تختارعلم البلاغة من بين العلوم المرتبطة بالأسلوبية، وتبحث عن وجوه التشابه والخلاف بينهما حتى تكشف عن العلاقات الوطيدة بينهما عبر الدراسات التطبيقية والتحليل الأدبي في سورة طه، و تتناول مدى فاعلية التحليل البلاغي والتحليل الأسلوبي في كشف أسرار القرآن الكريم.

أهم نتيجة توصلت إليها المقالة هذه هي أن للبلاغة دورها في التحليل الأدبي لكنها قصيرة اليد ضيقة المجال مقارنة مع الأسلوبية التي يكون نطاقها أوسع وتعتبر البلاغة فرعا لها.

الكلمات الأساسية: الأسلوبية،البلاغة،التشابه،الاختلاف،الدراسات التطبيقية

المقدمة

الأسلوبية منهج نقدي، تطورت بتطور علم اللغة وتقوم بدراسة التحليل اللغوي وهي من الدراسات الحديثة التي لا تزال في التطور و التحول.

على خلاف زعم بعض البلاغيين المحدثين الذين يعدون الأسلوبية نفس البلاغة الجديدة أو فرعا من فروع البلاغة القديمة، لابد من القول إن الأسلوبية تختلف عن البلاغة في غالبية مناهجها و إن ارتبطت بها في بعض المواضيع وفي بعض قضايا التحليل اللغوي لكن فاعليتهما تختلف في التحليل الأدبي أيضا . والأسلوبية أوسع مدى من البلاغة.

اهتم كثير من الباحثين المحدثين بدراسة التحليل البلاغي والأسلوبي والقياس بينهما بالتطبيق نحو ما فعل أسامة بحيري في كتابه البنية المتحولة في البلاغة الجديدة، ويوسف أبو العدوس في كتاب الأسلوبية النظرية و التطبيق، وماهر هلال في كتابه رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية ، ومحمد عودة في كتابه تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي.. وغيرهم . ما يستنتج من دراساتهم التطبيقية بين الأسلوبية و البلاغة هو أن البلاغة تقوم بالتحليل الأدبي بعلومها الثلاثة : المعاني ، البيان و البديع بينما الأسلوبية تدرس أثرا أدبيا في ثلاثة

مستويات : المستوى الصوتي ، المستوى الدلالي ، المستوى التركيبي. وهذا أكثر شمولا من البلاغة؛ إذ تدخل في دراسة الأسلوبية قضايا نحوية ولغوية.

هذه المقالة تدرس نشأة الأسلوبية محاولة الإجابة عن هذا السؤال: هل الأسلوبية حديثة النشأة أم قديمة النشأة وحديثة التطور؟ و إذا كانت قديمة النشأة إلى أين ترجع جذورها؟ ثم تسلط الضوء على علاقتها بالبلاغة من بين سائر العلوم وأخيرا تقدم معايير لتحليل أدبي باستخدام البلاغة المحضة و الأسلوبية.

اجتهد الباحثون في تحديد مفهوم الأسلوبية اجتهادا بالغا حتى الآن وإن لم يتفقوا على مفهوم واحد.قدمت للأسلوبية تعاريف عديدة وتعريف مولينيه يعد أكملها إذ يقول « هي فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون و الكتاب في السياقات_ البيئات الأدبية و غير الأدبية »[lxxiii]

جورج مولينيه في هذا التعريف يشير إلى بعدها اللساني والباحثون يعتقدون بأن اللسانيات ظاهرة غربية و وليدة بيئة أوروبية وهي من الدراسات الحديثة وإن كانت لا تزال في معرض الصراع بين القدامة والحداثة.[lxxiii].

وهذا ليس بمعنى أن الثقافة العربية واللغة العربية تعتزل عن اللسانيات في انتمائها وتكوينها بل يقول إن العرب لم يحصلوا على هذا العلم الجديد إلا بعد صلتهم بالغرب ومعرفة اللغات الأجنبية.

كما يشير إلى أن الأسلوبية مخصصة للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات واللبيئات الأدبية وغير الأدبية .

هذا بمعنى أن « مجالات التحليل لدى الأسلوبية قد تجاوزت حدود اللسانيات فأخذت من علم الاجتماع وعلم النفس فانضوت تحت مظلتها، وهذا يجعلنا نقول بأن الأسلوبية قد مدت يدها إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاتها »[lxxiii].

بهذا التعريف يتسع مدى الأسلوبية وتتجاوز دائرة الأدب؛ أما الدكتور محمد سليمان فيرد على هذه النظرية ويعتقد أنه لا يمكن التعامل مع الجوانب الأخرى مع النص الأدبي بالدراسات الأسلوبية [lxxiii]

وهو يحدد الأسلوبية في الأحكام اللغوية ويعتقد بأن الأسلوبية ليست قادرة على تحليل الأحكام الثقافية والاجتماعية والحضارية و لكن أكثر الباحثين يتفقون على نظرية مولينية.

يتفق نقاد الأدب على أن الأسلوبية بين سنة 1968 حتى 1975 كانت ضيقة المجال والدراسات اللغوية القديمة كانت تنحصر على الجملة وهذا كان أعلى مستوى دراستهم ولكن الجملة كانت فاشلة في تلبية حاجاتهم لأن دراسة وتحليل بعض الظواهر اللغوية لا يمكن إلا على مستوى النص [lxxiii]، فتقدمت الدراسات اللغوية إلى أن بدأت تدرس بنية اللغة من الجوانب التالية:

الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة و الدلالة [lxxiii].

فشهدت الأسلوبية تحولا جذريا مع انتشار الدراسات اللسانية و ما تبع ذلك من هيمنة المنهجات البنيوية في ميادين العلوم الإنسانية، وقد أخذ هذا التطور منحيين اثنين :

منحى القاعدة العلمية الصلبة (المنهجية البنيوية) و منحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الند للند» [lxxiii].

فمعدن الأسلوبية البحث عن مقومات اللغة [lxxiii].

من العلوم الأخرى التي ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة هي البلاغة حيث يعدها بعض الباحثين وليدة البلاغة القديمة وأطلقوا عليها البلاغة الجديدة.ويعتقد بعض الباحثين عكس هذه النظرية نحو فان وايك الذي يرى الأبنية البلاغية للنص ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة وتعرف جزءا منها ويعدها من صور الأسلوب[lxxiii].

مع تطور علم اللغة في العصر الحديث ونشأة علم الأسلوب في الدراسات اللغوية اهتم الباحثون بالجمع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة الغربية واجتهدوا في طرق تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة.ولكن ما الربط بين علم البلاغة والأسلوبية؟

هذه الدراسة تدرس بدء نشأتهما وتطورهما وأقسامهما و تقوم بالقياس بينهما وتصل عبر هذا الى جواب السؤال المذكور أعلاه.

نشأة البلاغة و تطورها :

اهتم العرب والمسلمون منذ القدم بعلم البلاغة وهو من أبرز وأشرف العلوم عندهم لأنها كانت من الأدوات مهمة لفهم القرآن وإدراك إعجازه، وهذا دفع الباحثين إلى فهمها ودرسها حتى أصبحت فنا مستقلا ذات قواعد و أصول. « فإن البلاغة التي نرى بين أيدينا الآن علما مستقلا مميزا عن العلوم الأخرى لم توجد دفعة واحدة و لم تكن ثمرة لجهد عالم معين من العلماء أو فترة من الزمان

و لكن هذا العلم كان ثمرة لجهود كثير من العلماء على مر العصور تعددت مناهجهم واختلفت ثقافتهم وشاركوا جميعا في بناء هذا الصرح البلاغي الكبير »[lxxiii].

وإذا اتبعنا الدراسات الأولى لنشأه هذا العلم وصلنا إلى سنة 208 هـ مع كتاب مجاز القرآن لأبي عبيده معمر و يشير هذا الكتاب إلى المسائل البلاغية للقرآن .

ثم نصل إلى القرن الثالث مع كتاب البيان و التبيين للجاحظ وهذا الكتاب في الفصاحة والبلاغة . ثم تطور هذا العلم ووضع اللغويون القواعد العامة له ثم بادروا بترتيب هذه القواعد والأصول وتيسيرموضوعاتها وتوسيعها إلى العصر الحديث الذي حاول الباحثون فيه تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة .

لخص باطاهر مراحل نشأة البلاغة و تطورها في أربع مراحل :

المرحلة الأولى : دراسات عامة في فهم القرآن و الأدب العربي.

المرحلة الثانية : وضع القواعد العامة.

المرحلة الثالثة : ترتيب القواعد.

المرحله الرابعة : الاهتمام بتجديدها [lxxiii].

نشأة الأسلوبية وتطورها :

في نشأة هذا العلم أقوال متعددة : بعض يقول ترجع نشأته إلى سنة 1968 وبعض آخر يعتقد بأن نشأته كانت في سنة 1886 وآخرون ذهبوا إلى أن

الأسلوبية أسّسها شالرز بالي سنة 1865 ميلاديا. ويتفق جمهور الباحثين على أن نشأتها كانت مع نشأة علم اللغة وتصل قدمتها إلى علم البلاغة ولو أن البلاغة أقدم زمنا منها هكذا نستطيع أن نقول : كانت الأسلوبية وليدة البلاغة القديمة وعلم اللغة وليست علما حديث النشأة.

البلاغة القديمة كانت فن القول لإقناع الناس وكانت ملكة تؤثر على عقول الناس وقلوبهم وانحصرت في ثلاثة علوم: المعاني، البيان، البديع. ولكن لم تتجاوز الجملة إلى النص إلا قليلا .

ولكن البلاغة الحديثه تعدّت فن القول واجتهدت في وضع القواعد وترتيبها وتحليلها في المستوى الأعلى وأصبحت فنا مستقلا.

هكذا نرى أن معيار تشخيص الأحكام النقدية في القديم كان طبع الناقد وذوقه ولكن اليوم المعيار هو الأحكام والقواعد التي انبعثت عن عقلية الإنسان ، فقامت الأسلوبية على الفكرة والعاطفة والخيال والبلاغة وتتناول النص من خلال هذه المعايير ولا تنفك عن هذا.

« فالأسلوبية الحديثة تقوم بتحليل النص من خلال ثلاثة عناصر :

1. العنصر اللغوي : تعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها.

2. العنصر النفعي : يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف، القارئ، الموقف التاريخي وهدف الرسالة وغيرها.

3. العنصر الجمالي الأدبي : ويكشف عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقويم الأدبي له[lxxiii].

على أساس هذا التعريف تبرز وجوه الخلاف والتشابه بين البلاغة والأسلوبية :

- العنصر اللغوي كما يصرح به اسمه يتجاوز بيئة الأدب إلى اللغة مع أن البلاغة لا تخرج من الأدب.

- في العنصر الجمالي الأدبي يهتم كلاهما بالأثر الذي يتركه النص على المتلقي، لكن الأسلوبية في التحليل الأدبي تهتم بالنص والسياق الحاكم عليه وتنظر إلى الأثرنظرة شاملة على خلاف العلماء البلاغيين الذين يهتمون بدارسة جملة أوجملتين لذا يعتقد بعض النقاد أن البلاغة لا تقدرعلى البحث عن البنية المشتركة بين الصور المختلفة.

- والعنصر النفعي يشير إلى أن الأسلوبية تعنى بالكاتب أو المتكلم عناية بالغة. إضافة إلى هذا تهتم بحالته النفسية ومكانته الاجتماعية اهتماما بالغا ، خلافا للبلاغة التي تعني بالمخاطب وجل اهتمامها التأثير على المخاطب دون الاهتمام بالمتكلم، نحو هذه الآية :

*** ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا *** [lxxiii]

في التحليل البلاغي : ليس غرض المتكلم (موسى) الاستفهام بل يقصد أن يؤثر على المخاطب (قومه) أي يلاحظ مخاطبه وأحواله (عصيانهم على موسى).

ثم استخدم أسلوبا من أساليب علم المعاني ليؤثر على المخاطب ويهز مشاعره، هكذا استخدم تركيب الهمزة و النفي؛ إذ إن هذا التركيب يدل على الإنكار؛ و نفي النفي ايجاب.

أما الأسلوبية فتهتم بالبنية السطحية والعميقة لهذا السؤال أي يلاحظ المتكلم وأحواله النفسية والاجتماعية ويستنتج بأن موسى كان نبيهم و لمِ يسألهم هذا السؤال لأنه كان جاهلا ، بل لينكر عليهم.

هكذا تتناول الأسلوبية البعد الخارجي لهذا السؤال ثم البعد الداخلي من خلال المتكلم.ففي الآية المذكورة على سبيل المثال، تبدأ الأسلوبية تحليلها بالمستوى التركيبي فتحلل مباحثها الصرفية والنحوية وتدخل في علم المعاني، ثم تدرس المستوى الصوتي فيها فتتناول متغيراته الإيقاعية، التوازي والتكرار والتماثل الصوتي للحروف والسجع والجناس.ثم تدخل في المستوى الدلالي وتحلل النص بكل ما يفعل علم البيان في تحليل الاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها إضافة إلى تحليل الانزياح في المصاحبات اللفظية.

إذن لا تقوم البلاغة بالجمع بين علومها الثلاثة ولا تربط بين السجع في (وعدا و حسنا) والاستفهام المجازي في علم المعاني، أما الأسلوبية فتربط بين ثلاثة مستوياتها وتحكم : على سياق هذه الآية نوع من التهديد (يهدد موسى قومه)

هذه المقالة تذكر علاقة الأسلوبية بهذه العلوم الثلاثة : المعاني، البيان والبديع بعد أن شرحت فاعليه الأسلوبيه في التحليل الأدبي:

علم المعاني : أصول و قواعد تعرف بها أحوال الكلام التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بعباره أخرى يقوم علم المعاني بتحليل الجملة من حيث إفادتها المعاني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم مطابقا لمقتضى الحال ولكن الأسلوبية إضافه إلى هذا النوع من التحليل تهتم بتعدد الأساليب المستخدمة مثل

الأمر والنهي والإستفهام وغيرها ومواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وتفسيرها.

علم البيان : يقوم بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بزيادة ونقصان مهتما باللفظ لكن الأسلوبية لا تكتفي باللفظ وظاهر النص بل تحلق في أجواء البنية العميقة للنص أكثر من علم البيان.

علم البديع : « هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقة لمقتضى الحال »[lxxiii]، ويعتبر التحسين عملية فنية تتقابل مع التطبيق على مقتضى الظاهر ووضوح الدلالة وهو تقابل يجعل من التحسين شيئا هامشيا[lxxiii]، لكن الأسلوبية تجتهد في إيجاد تلاؤم اللفظ مع المعنى إضافة إلى تحسين الكلام و تزيينه. فإن الدراسة الأسلوبية تتمثل في أمرين: الأول: تطوير مفهوم نظرية اللغة وعلاقتها بالواقع الحضاري والاجتماعي، الاعتماد على العلوم المختلفة والإلمام بالأثر الأدبي مطابقا لمقتضى الحال [lxxiii].

و الأسلوبية تقوم بالتحليل الأدبي في ثلاثة مستويات :

أ. **المستوى الصوتي(الإيقاعي)**: يهتم في النص بمتغيراته الإيقاعية، التوازي و التكرار والتماثل الصوتي للحروف، السجع و الجناس و الوقف و الوزن و النبر والمقطع والتنغيم و القافية.

ب. **المستوى التركيبي**: في هذه الدراسة يمكن دراسة الجملة والفقرة والنص وما يتبع ذلك مثل الاهتمام بطول الجملة وقصرها، البنية العميقة والسطحية وكل ما يرتبط بعلم المعاني وعلمي: النحو والصرف.

ج. **المستوى الدلالي**: وفي هذا المستوى يمكن دراسة الكلمات المفاتيح، الاختيار، المصاحبات اللغوية والصيغ الاشتقاقية وما يرتبط بعلم البيان.

على أساس هذه التقسيمات نرى جذور الأسلوبية في البلاغة لأن الأسلوبية تضع علوم البلاغة الثلاثة تحت مظلتها وهكذا يظهرأنها ليست حديثة النشأة.

هذه المقالة تبرز مواضع العلاقة بين الدراسة البلاغية والأسلوبية عن طريق التحليل الأسلوبي والبلاغي للجمل الاستفهاميه في سورة طه وتكتفي في المستوى البلاغي بدراسة علم المعاني وفي الدراسة الأسلوبية بتحليل المستوى التركيبي مهتمة بالبنية العميقة والسطحية للاستفهام.

أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي ويستخدم لطلب الفهم بشيء اسما أوحقيقة أو صفة أو عددا لم يكن معلوما من قبل.« الاستفهام من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيات الاتصال من المرسل والمتلقي لما ينطوي عليه من مضمون وجداني ونفسي وهو من وسلئل تأثيرية تفعل فعلها في المتلقي »[lxxiii]

وهو أحد أساليب الأدب الإنشائي؛ والجمله الإنشائية هي كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب[lxxiii]. والكلام الإنشائي مرتبط بتصور المتكلم ومشاعره أي يقوم على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب و إن يخرج عن أغراضه الحقيقية إلى أغراضه المجازية.

استخدم الله تعالى هذا الأسلوب في سورة طه بكلتا حالتيه الحقيقية والمجازية يحتفظ صلته مع الآخرين بهذا الأسلوب ويجعلهم مشاركين في بيان مراده؛ خاصة يحكم على هذه السورة عنصر قصصي، والحوار من عناصر النصوص

القصصية وهذه السورة تحفل بكثير من هذه الحوارات التي لا تخلو من الاستفهامات.

*** هل أتاك حديث موسى**[lxxiii]*

على أساس الدراسة البلاغية : هذه الجملة إنشائية واستفهامية ومجازية لأنها صادرة عن الله تعالى والمراد منها التشويق وإثارة الذهن نحو ما يعقب المستفهم عنه.

الدراسة الأسلوبية : و تفسرها في بعدين :

1. البعد الخارجي (صورة الشيء) أو البنية السطحية و يحلل من خلال سياق النص .

2. البعد الداخلي (الذهن) أو البنية العميقة وهو يشير إلى المتكلم .

البعد الخارجي لهذه الآية يقول : الجملة إنشائية استفهامية لطلب التصديق عن وقوع النسبة بين طرفي الإسناد أو عدم وقوعه (إتيان حديث الرسول أو عدم إتيانه)

هذا الأسلوب يستخدم في المواضع التي لم يكن المتكلم عارفا بهذا الموضوع ويسأل عن الدلالة الكلية، وهذا بالنسبة إلى الله تعالى أمر محال؛ إذ لا شيء مخفي عنه في العالم .

البعد الداخلي لهذه الآية هوأسلوب الأمر: أنظر إلى قصة موسى .

البعد الداخلي لهذه الآية يشير إلى مجازية هذا الاستفهام أي ما كان قصد الله تعالى طلب فهم الجواب بل أراد أن ينبه رسوله محمدا – صلى الله عليه و آله و سلم– إلى قصة موسى.

هذا الأسلوب من خصائص القصص القرآنية حتى يشوق المخاطب إلى أن يستمع إلى بقية المشاهد.« السطح و العمق أحدهما لفيلمور، يؤكد فيه على الدلالة وبالتالي الفاعلية و الأداتية والآخر لتشومسكي و يؤكد فيه على التركيب وبالتالي التحويلات فيه»[lxxiii]

تظهر الوظائف الثلاث: الانفعالية (المتكلم) والطلبية (المخاطب الخاص أو العام) والمرجعية(السياق) في المستوى الصياغي الأصلي لبنية الإنشاء [lxxiii]. والاستفهام لا يستثني عن ذلك.

عملية التوليد الدلالي في الاستفهام تمر بثلاث مراحل حتى تتجاوز دلالته الأصلية إلى دلالات جديدة.

هذه المراحل هي : 1. التنبيه 2. التفاعل 3. الإنتاج [lxxiii].

التنبيه : هو إيقاظ المخاطب و إثارة ذهنه نحو ما فعل الله تعالى بالنسبة إلى نبينا محمد– صلى الله عليه و آله و سلم– حين أراد أن يبدأ بالحوار معه، فبهذه الجملة الاستفهامية أثار فكره وحسه للتوجه نحو قصة موسى .

ولو استخدم أسلوب الأمر هنا لم يتحقق هدف زيادة الارتباط بين المتكلم والمخاطب و لم يفد هذا الإيقاظ، فالاستفهام هنا أبلغ من الأمر.

التفاعل : هو تعامل القارئ مع النص وسياقه.

المخاطب هنا الرسول وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول على البعد الخارجي لهذا السؤال، فبعد أن خاطبه الله تعالى يلتفت إلى سياق النص أو الكلام و يتعامل معه لإدراكه.

الإنتاج : وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول على البعد الداخلي للاستفهام و يتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة مستنتجا أن الله تعالى ملم بجواب هذا السؤال و قصده شيء آخر.

و ما تلك بيمينك يا موسى [lxxiii]

الدراسة البلاغية تقول: هذه الآية جملة إنشائية وصدرت بأداة الاستفهام "ما"، هكذا تسأل عن حقيقة وماهية الشيء ولكنها صادرة عن الله تعالى والاستفهام هنا ليس حقيقيا بل مجازي والغرض منه التقرير، أي تقرير موسى بأن الذي يمسكه بيده اليمنى قطعة مستطيلة من الخشب لا حياة فيها وليستحضر هذا في وجدانه و يقرّ به حتى عندما حدثت المعجزة الإلهية.

أما الأسلوبية فتقوم بتحليل هذه الآية على البعدين :

البعد الخارجي أو البنية السطحية : هو الاستفهام و السؤال عن الدلالة الجزئية و يطلب المتكلم تحصيل صورة جزء من أجزاء الجملة و هو الشيء الذي كان بيد موسى اليمنى.

هذه الآية حوار بين الله وموسى، والمتكلم هو الله تعالى وهو عارف بما في يد موسى وهي العصا.

البعد الداخلي أو البنية العميقة : جملة خبرية (هذا الذي في يدك اليمنى عصا خشبية ولكننا قادرون على تحويلها إلى حيّة).

فالبنية العميقه لهذه الآية ، الخبر و الإنشاء من لدن الله تعالى وهوملم بما في يد موسى ولكن يريد أن يوطأ الأرضية حتى يظهر قدرته وإعجازه لأخذ الاعتراف من موسى حتى يقرّ بأن قدرة الله تعالى لاتقارن بقدرة فرعون. فالاستفهام ههنا أقصر طريق إلى إلقاء المقصود بالنسبة إلى أسلوب الخبر و أبلغ طريقا في اهتزاز مشاعر المخاطب .

عملية التوليد الدلالي في هذه الآية أيضا مرت بمراحلها الثلاث : الله تعالى ينبه موسى بالاستفهام وهذا أبلغ أسلوب للإيقاظ ثم في المرحلة الثانية يتعامل موسى مع السياق في بنيته السطحية وفي المرحلة الثالثة تحضر في ذهن موسى الدلالات المتولدة من هذا الاستفهام وتنكشف له أغراض الاستفهام .

قال فمن ربكما يا موسى[lxxiii]

الدراسة البلاغية : في هذه الآية تخاطب فرعون موسى و أخاه و ليس الاستفهام هنا حقيقيا بل مجازي بدلالة الإنكار و السخرية أي الانكار و التهكم[lxxiii].

الدراسات الأسلوبية تحلل هذه الآية في بعديها : **الخارجي** وهو إنشائية الاستفهام، يسأل المتكلم عن الدلالة الجزئية. وبعدها **الداخلي** : لا رب لكما و أنتما تكذبان؛ والجملة الخبرية المنفية هذه، تدل على أن المتكلم (فرعون) لا يسأل عن حقيقة الله سبحانه و تعالى بل يريد إنكار موسى و هارون و إبطال قولهما ثم الاستهزاء بهما.

في هذه الآية تبرز هذه العملية التوليدية الدلالية على مراحلها المتتابعة :التنبيه حين يسأل فرعون موسى ويطلب التفاته إليه، ثم تعامل موسى مع سياق كلامه حين لم تحصل الصورة الدلالية المجازية لهذا الاستفهام في ذهنه وحين تصل إلى مرحلة الإنتاج، يدرك مقصود فرعون من سؤاله وهذا بيّن من الاستجابات التي ترد إلى فرعون في وصف ربه و بيان قدرته.

و آية أخرى :* قال آمنتم له قبل أن آذن لكم *[lxxiii]

بعد أن سأل فرعون موسى (ع) حين أتى بمعجزته (تحويل العصا الى الحية و افتراس حيات السحرة و إيمان موسى للسحرة) خاطب فرعون السحرة بهذا السؤال .

الدراسة البلاغية تدرس الاستفهام في هذه الآية وتعتبره إستفهاما مجازيا و الغرض منه التهديد و الوعيد.

والدراسة الأسلوبية تقوم بتحليلها في بعديها :

البعد **الخارجي** أو البنية السطحية: الجملة إنشائية و استفهامية بالهمزة و يسأل عن الدلالة الكلية وعن حصول النسبة أو التصديق عن الإيمان بموسى أو عدم الإيمان به. والبعد **الداخلي** و هو: بسبب إيمانكم بموسى قبل أن آذن لكم، أعذبكم و أقتلكم .

لم يكن قصد فرعون الاستفهام حقيقة بل يريد أن يهددهم ويخوفهم على عملهم، و إن كان يخاطبهم بجملة خبرية لم يحصل منها هذا الإنذار و التخويف و شدة غضبه من عصيانهم كما حصل بالاستفهام.

عملية التوليد الدلالي تمر أيضا في هذه بمراحلها الثلاث :

تنبيه السحرة على سؤال فرعون و توجه التفاهم إليه ثم ارتباطهم ومعاملتهم مع سياق الكلام والاستنتاج من غرض فرعون و استخراج غرض الاستفهام عن كلامه.

هكذا نرى ما وصلت إليه الأسلوبية خلال الأزمنة المتتالية لم تكن غيرمألوفة للعرب وإن انشعبت منها فروع أخرى وأطلقت عليها مصطلحات جديدة كما رأينا أن علم المعاني جاء تحت لواء المستوى التركيبي و البيان تحت المستوى الدلالي والموسيقى في البديع (السجع و الجناس) تحت المستوى الصوتي.

النتيجة :

تستنتج هذه المقالة أن الأسلوبية وليدة بلاغة القديم وعلم اللغة هكذا ليست حديث النشأة وليست مولود الغرب وأوروبا و إن كانت تطورت بتطور علم اللغة الحديثة أو لسانيات النص .

علم البلاغة كان ضيق المجال وبقي منحصرا على علومها الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) ، لكن الأسلوبية اتسع مداها وانضوت هذه العلوم تحت مظلتها في التحليلات الأدبية واللغوية وإن كان علم البلاغة من مقومات الأسلوبية ويرتبط بها بصلات وثيقة لكن يختلف عنها في مواضيع كثيرة ولا يمكن جمعهما في علم واحد .

هكذا توسع المجال للنقاد في الأسلوبية ومد أيدي الباحثين في التحليل الأدبي بالأسلوبية أكثر من البلاغة.

*** المصادر و المراجع :**

1. القرآن الحكيم

2. أبو العدوس، يوسف (2007) **الأسلوبية النظرية و التطبيق**؛ ط.2، عمان : دارالمسيرة.

3. إبن هشام (1972) **مغني اللبيب**؛ التحقيق: المبارک، مازن؛ ط.3، بيروت: دارالفكر.

4. إسماعيلي علوي، حافظ (2009) **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**؛ ط.1، ليبيا : دار الكتاب الجديد المتحدة.

5. باطاهر، بن عيسى (2008) **البلاغة العربية**؛ بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

6. بحيري، أسامة (2009) **البنية المتحولة في البلاغة العربية**؛ ط.1،كفر الشيخ: العلم و الايمان.

7. بن ذريل، عدنان (2006) **اللغة و الأسلوب**؛ ط.2، مجد لاوي.

8. جمعة، حسين (2005) **جمالية الخبر و الإنشاء**؛ دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

9. حجازي، محمود (2007) **مدخل إلى علم اللغة**؛ القاهرة: دار القباء الحديثة.

10. سليمان داود، أماني (2009) **الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية**؛ ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

11. سليمان، محمد (2007) **ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**؛ عمان: يازوري.

12. فضل،صلاح (د.ت) **شفرات النص**؛ دار الأدب.

13.عبدالمطلب، محمد (1995) **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**؛ ط.2،دار المعارف.

14. عبد ربه، فوزي (2005) **المقاييس البلاغية عند الجاحظ**؛ القاهرة :مكتبة الأنجلو.

15. عودة، ميس محمد (2009) **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي**؛ عمان : دار الجليس.

16. المطعني، عبدالعظيم (2007) **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**؛ م.2، القاهرة: مكتبة وهبة.

17. مولينيه، جورج (2006) **الأسلوبية**؛ ط.2، بيروت: مجد.

18.هلال، ماهر (2006) **رؤي بلاغية في النقد و الأسلوبية**؛ إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

19. ون دايک ، تواين (2005) علم النص ؛ التحقيق : بحيري ، سعيد حسن ؛ قاهرة : دار القاهرة.